Annals of letters and languages حوليات الآداب واللغات
ISSN 2335-1969 E.ISSN 506X - 2602
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/312

مجلة علمية دولية محكمة . كلية الآداب واللغات . جامعة محمد بوضياف .المسيلة الجزائر

المجلد 09– 03 عدد : 19– أكتوبر 2021 صفحة من : 77 إلى 88

المنهج النقدي وإشكاليته في النقد الجزائري المعاصر

The critical approach and its problematic in contemporary Algerian criticism

المؤلف الأول[1]* عبد السلام حميدي

hamidiessalam@gmail.com. **كلية الآداب واللغات جامعة ابن خلدون،تيارت–الجزائر**

معلومات المقال

تاريخ الاستلام : 2021/04/13 .
تاريخ القبول :12/ 2021/07 .

الكلمات المفتاحية

نقد جزائري معاصر؛ أحادية منهج ؛ تركيب منهجي؛ تكامل منهجي؛ لامنهج

Abstract ملخص

تعد قضية المناهج النقدية الحداثية من أهم القضايا التي تطرح وبشدة في الساحة النقدية الجزائرية في شكل اجتهاد فردي من قبل النقاد الجزائريين، أو عن طريق إقامة ملتقيات علمية ومؤتمرات من منظور أنها إشكالية يعاني منها النقد الجزائري المعاصر بمناهجه النسقية المختلفة .ذات المنشأ الغربي، حيث تم نقلها واستنباتها في المدونة النقدية الجزائرية المعاصرة،فشهدت نوعا من الفوضى و الاضطراب في استخدامها،وما لفت انتباهنا بشدة قضية البحث عن المنهج النقدي الكفيل بسبر أغوار الظاهرة الأدبية من طرف النقاد بين نجاعة المنهج الواحد وآخر يرى ضرورة التعدد المنهجي بين التركيب والتكامل ودعوة أخرى إلى اللامنهج.

Key words

Contemporary Algerian criticism. Mono approach; approach mating; approach integration; Extracurricular.

Abstract

The issue of modernist critical approachS is one of the most important issues that arise strongly in the Algerian critical, in the form of individual diligence by Algerian critics, or by establishing scientific forums and conferences from the perspective that it is a problem that suffers from contemporary Algerian criticism with its different systemic approaches of western origin. It was transferred and implanted in the contemporary Algerian critical blog, and it witnessed a kind of chaos and disorder in its use.

[1] المؤلف المرسل :حميدي عبد السلام

1–مقدمة: .

شهد النقد في الجزائر قفزة نوعية بفضل جهود النقاد والدارسين الذين مدّوا أيديهم للنقد الأدبي الذي كان يغرق في الذوق والانطباع، وأخرجوه من بوتقة القراءة الجزئية والأحكام النقدية إلى قراءة علمية رصينة تخضع لآليات وإجراءات. فظل مواكبا لمستجدات النقد الغربي – منشأ المناهج النقدية الحديثة والنظريات العلمية والتيارات الفكرية– حيث استفاد من المناهج الحداثية وما بعد الحداثية لدراسة النص الأدبي، لذا يمكننا الحديث عن نقد أدبي جزائري معاصر مع ثمانينيات القرن العشرين، تحديدا مع جهود عبد الملك مرتاض التي تعد اللبنة الأولى لنشأة النقد النسقي الذي يعنى بدراسة النص الأدبي من الداخل، كما أدرك ذات الناقد أهمية المنهج في التأسيس لمسار نقدي جديد، طبعا؛ هو لا يختلف عن النقد العربي المشرقي، ولا النقد الغربي، وإنما يعد نسخة منه، صوّرها نقاد ودارسون جزائريون، و عبد الملك مرتاض واحد من هؤلاء، كانت لهم فرصة الدراسة في الجامعات الغربية– الفرنسية منها خاصة– تتلمذوا على يد كبار النقاد الفرنسيين؛ عبد الملك مرتاض تلميذ أوندري ميكال Andrei Michal، ورشيد بن مالك تتلمذ على يد غريماس Greimas، وحسين خمري تلميذ جوليا كريستيفا G.Kristeva...

فقد سعى هؤلاء النقاد و الدارسون الجزائريون سعيا حثيثا إلى مد الجسور لتلقي مستجدات النقد الغربي المعاصر، وما أنتجه من مناهج ونظريات ومفاهيم ومصطلحات لإعادة تبيئتها في تربة النقد الجزائري على المستوى التنظيري وكذا التطبيقي

ومن هنا يمكننا طرح مجموعة من التساؤلات التي كثيرا ما راودتنا خلال اطلاعنا على المنجز النقدي الجزائري المعاصر من قبيل؛ ما واقع هذه المناهج في المدونة النقدية الجزائرية المعاصرة؟وما مدى استيعاب الناقد الجزائري لهذا الزخم من المناهج والنظريات النقدية الحديثة؟،هل استطاع الناقد الجزائري إيجاد نموذج محلي يضاهي النموذج الغربي؟، هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال هذه الورقة البحثية عبر دراسة تحليلية وصفية.

2–واقع المناهج في النقد الجزائري المعاصر :

ظهرت مناهج نقدية غربية سياقية ثم ما بعدها نسقية في النقد الأدبي الجزائري المعاصر ، وأوّل ما ظهرت في أوربا كرد فعل على تلك الآراء النقدية الانطباعية والذاتية التي ظلت تحكم النقد ردحا من الزمن، فتوصل النقاد الغربيون في البداية إلى المنهج التاريخي لدراسة الظواهر الأدبية، ثم المنهج الاجتماعي ثم النفسي، ومع عشرينات القرن العشرين ظهرت المناهج النسقية مع الشكلانيين الروس تمهيدا للمنهج البنيوي، ثم بعده توالت مناهج أخرى، كالسيميائية والتفكيكية والأسلوبية وغيرها، لدراسة النصوص الأدبية دراسة نسقية بعيدة عن أسيقتها التاريخية والاجتماعية وكذا النفسية، فهذه المناهج على اختلافها«كثيرة ومتعددة ، وكل منهج من هذه المناهج يتعامل مع النصوص بمفاهيم ومصطلحات نقدية تستند إلى خلفية فكرية أو نظام معرفي متكامل، وهذه المفاهيم ليست مجانية في استعمالاتها، بل لها وظيفة تؤديها في سياق الدراسة النصية، فهي تؤسس منطلقات علمية ومنطقية»[1]، ومع تصاعد موجة الحداثة النقدية، انتقلت هذه المناهج النقدية إلى الجزائر

مع ثلة من النقاد كانوا على اتصال مباشر معها في فرنسا بغرض مواصلة الدراسات العليا بالجامعات الأوربية على غرار عبد الملك مرتاض، رشيد بن مالك، عبد الحميد بورايو، حسين خمري، السعيد بوطاجين ومحمد ساري، هؤلاء من تأثروا بهذه المناهج وقاموا بنقلها وتجريبها في النقد الجزائري بكل شغف ونهم ودونما تريث، فأغرقوا الساحة النقدية بتلك المناهج السياقية التي قدم لها العزاء في أوربا مع نهاية القرن العشرين والمناهج النسقية التي كانت حديثة العهد هناك، فتباينت آراؤهم واختلفت توجهاتهم، تبعا لمرجعياتهم الفكرية والأيديولوجية، فهذا ناقد رفضها رفضا قاطعا بحكم منبتها الغربي، وآخر يمجد المنهج الاجتماعي (بحكم الاشتراكية في الجزائر)، وآخر يثور ضده ويعيبه ويعلن تبنيه للمنهج البنيوي(بحكم التواصل مع الغرب) ويدعو إليه، وثالث يتأرجح عبر كل المناهج بما في ذلك السياقية والنسقية، ثم يعلن عجزها وقصورها عن الولوج إلى عوالم النص الأدبي. إضافة إلى مشكل تعدد المرجعيات، فقد كان لتزامن هذه المناهج النقدية وتلقيها دفعة واحدة مشكل آخر، فقد أحدث هذا النقل تراكما منهجيا وزخما مصطلحيا، وتكديسا في الآليات الإجرائية في المدونة النقدية، وإن كان أمر تبني هذه المناهج وتلك النظريات ونقلها وتطويعها يحسب لصالح النقاد لجهودهم المضنية في إيجاد سبل أخرى ناجعة للمقاربات النقدية، غير أن«غياب الماهية الواضحة لمفهوم المنهج في أذهان كثير من نقاد اليوم، وعدم اعتدادهم بجسامة هذا الإجراء، وخوضهم المطلق في مناهج تفتقر إلى كثير من مقومات المنهج، هو جزء كبير من الفوضى العارمة التي يتخبط الخطاب النقدي المعاصر في عشوائها »[2]، وثمة عامل آخر قد زاد الإشكالية تعقيدا، ذلك أن الثقافة النقدية في الجزائر نامية، لم تكن على درجة كبيرة من الوعي والمعرفة –فترة مابعد الاحتلال– ،«وهذا أمر على جانب كبير من الأهمية، لأن مشكلة الباحثين في الآداب في الثقافة النامية هي في الحقيقة مشكلة منهجية، فالدراسات المترجمة عن المناهج النقدية والأدبية أغلبها غامض وغير مفهوم»[3]، وبعض النقاد من اعتبر الاتجاهات النقدية كسب لميدان النقد الأدبي لما لها من أهمية استثنائية في هذا المضمار لنهوض المصطلح النقدي بالبحث الجاد أساسه منظورات نقدية منهجية جديدة، بعدما أدرك الناقد الجزائري أن«الوعي المنهجي يشكل أحد المرتكزات الأساسية في نضج أية حركة نقدية جادة، لذا فقد كان هذا الناقد، ومنذ مطلع هذا القرن تقريبا مشغولا بمحاولة صياغة موقف منهجي واضح في الممارسة النقدية، ويمكن القول إن تاريخ النقد العربي الحديث في هذا القرن هو–إلى حد ما–تاريخ الصراع من أجل اكتشاف منهج خاص في الرؤية النقدية»[4]

تتضافر عدة عوامل ثقافية وفكرية فلسفية لإيجاد المنهج العلمي، و«المنهج النقدي الأدبي طريقة في مقاربة الخطاب الأدبي وهذه الطريقة لا تولد من فراغ، ولا تنجم عن تأمّل حر مستقل يسعى إلى إيجادها، هي مترتبة على فهم محدد للأدب، ووجهة نظر فيه، ولذلك فهي متعددة، تعدد تلك الوجهات، وهي مستمرة في التوالد ما استمرت وجهات النظر في التوالد والحدوث، المنهج وجهة نظر حقل معرفي معين بالأدب يشكل خلفية فكرية معرفية نقرأ بها ما نقرأ»[5]، ثم إن هناك تواشج عميق بين المنهج والمصطلح النقدي إنهما وجهان لعملة واحدة، ما بينهما«علاقة قرابة وثيقة يجدر بالناقد وصلها إنهما صنوان ليس في وسع أحدهما أن يستغني عن الآخر أثناء الفعل النقدي، ودون ذلك يهتز الخطاب النقدي وتذهب ريحه ويفشل في القيام بوظيفته»[6]، كمصطلح النص الذي يختلف مفهومه من منهج لآخر.

يعاني الخطاب النقدي في الجزائر أزمة المناهج النقدية كسائر النقود في البلدان العربية، وهذه الأزمة طبعا أحدثها النقاد والدارسون بسبب قصور بعضهم في فهم هذه المناهج وإفساد تطبيقاتها على الظواهر الأدبية أولا والخلط في أدواتها الإجرائية وسوء استعمالها ثانيا.«فمن أمارات القصور المنهجي والفوضى النقدية أن نطبق منهجا نقديا باستخدام مصطلحات غيره من المناهج »[7]،مما يحدث فجوة عميقة حول فهم الأدب ومقاربته، وهذا ما تولد عنه إشكالية المنهج في المدونة النقدية في الجزائر .

3–الناقد الجزائري والبحث عن المنهج النقدي:

من الأزمات التي أصبح يعيشها النقد الأدبي في الجزائر في الآونة الأخيرة هي مشكلة «غياب منهج نقدي محدّد واضح، يتوافق عليه النقّاد ليكون أداة وحيدة للتعامل مع النصّ الأدبي، لإعطاء فكرة صحيحة عن مستوى التجارب الأدبية لكل مبدع.أعتقد أن هذه المشكلة لا تقتصر على النقد الجزائري، فهي تُعدّ من أبرز مشكلات النقد العربي المعاصر، لتشابه ظروف ومستوى الإنتاج الإبداعي عند العرب عامّة»[8]،وإشكالية المنهج والمصطلح، ناتجة عن رحلة بحث عن السبل الكفيلة والوسائل الناجعة التي سعى النقاد من خلالها إلى تحديثه وتجديد آلياته لمواكبة مستجدات النقد الغربي، فانصب هذا التحديث على»، استعارة المناهج، منهجا تلوى منهج وبشكل متسارع، فلا يكاد منهج ما يأخذ مكانه في المشهد النقدي حتى يخلفه منهج آخر دون أن يتم اختبار المنهج الأول والتعرف على إمكاناته في الكشف والتحليل ،ودون ما يتم التعرف على أسباب استبدال هذا بذاك»[9]، وهذا الزخم المنهجي سببه النقاد أنفسهم، لقصور الكثير منهم في فهم تلك المناهج وأدواتها، وقد أكد هذا محمود الربيعي في كتابه في النقد الأدبي وما إليه حينما قال:«إننا حين استخدمناها على غير وجهها الصحيح كنا كمن"يركب في القناة سنانا"على حد قول المتنبي، لقد تحدثت فيما مضى عن"السيكولوجي"، "السوسيولوجي"أما الأسلوبية""والبنيوية"فلهما قصة لا تقل غرابة ،لقد –تقريبا–من مضمونهما المفيد حين تحول العمل الأدبي على يد الأولى إلى إحصائيات و على يد الثانية إلى"نسب وأبعاد"، وبقي جوهر العمل—في غمرة هذا —مهملا ومنسيا، ولقد فقد الناقد الأسلوبي والناقد البنيوي بذلك مشروعية وجودهما وذلك حين تمولا عن مهمة الناقد الأدبي التي هي تفسير النص وبيان قيمته»[10]، لأن النقاد الجزائريين يبنون معارفهم على المحو لا على الاستمرارية، فجاءت آراؤهم متباينة حول المنهج وتعددت«في غياب استراتيجية علمية واضحة التي تحكم الخطاب النقدي وأدنى اهتمام بالتطور التاريخي لكل تيار خصوصا وأن المناهج النقدية الراهنة في الأوساط الجامعية كثيرة ومعقدة إلى حد تستعصي فيه على المتخصصين»[11]، وظهرت اتجاهات بين النقاد تأتلف طورا وتختلف أطورا كثيرة، فيما يتعلق بقضايا المناهج النقدية ونجاعتها في الدراسات النقدية.

أ–رفض المناهج النقدية الغربية:

هذا الرأي يمثله مجموعة من النقاد المحافظين المحسوبين على التيار السلفي الإسلامي، لهم مرجعيات دينية تراثية، لا تتم دراسة الأدب عندهم إلا بعيون البلاغة العربية والنحو وعلم العروض، هم من رفضوا هذه المناهج النقدية رفضا قاطعا بحكم أنها تغريبية، هذه المناهج كان

تطورها متسارعا في الغرب، وتدفقها إلى الوطن العربي كان أكثر سرعة، وعلى حد تعبير واحد من هؤلاء أن«تفاقم الضرر بازدياد اللّهث وراء كل جديد وافد من الغرب، الأمر الذي يظهر "الحداثة"و"التقدمية"و"يخفي"حقيقة التي هي "التبعية"وتحقير الذات»[12]، إن هؤلاء هم الذين وقفوا سدا لمحاولة منع نقل هذه المناهج وتلك التجربة النقدية التي كان يطمح إليها النقاد، وعبد الحميد بورايو واحد من هؤلاء الذي أحس بصعوبة العملية أمام تيار العروبة ممثلا في«جمعية اختلاف» التي رفضت كل ما هو غربي، وقد صرح بهذا في مقابلة أجراها معه الأستاذ على ملاحي، إذ يقول «...وقد نجحنا نوعا ما في هذا المسعى، رغم تجاوز طموحنا الحد الذي بلغه حاليا في الوسط الأدبي، كانت هناك مقاومة شديدة خاضها ضدنا المحافظون الذين يعتمدون في درسهم الأدبي على الانطباع ومعالجة المضامين بطريقة غير منهجية، فشككوا في قيمتها واعتبروها أدوات مستوردة لا تصلح لمعالجة النص الأدبي العربي...»[13]، فكان هؤلاء يبحثون عن إمكانية بلورة مناهج ونظريات خاصة لدراسة الأدب العربي في الجزائر، وأرادوا من ذلك التخلص من تبعية الغرب الثقافية متسائلين«لماذا نكون تابعين لمدارس معينة في النقد ولا يكون لنا نظريتنا الأصيلة ومدارسنا المبتكرة القائمة على أساس من قيمنا ؟لماذا نتأقلم نحن لنظريات الآخرين وهي غريبة عنّا، ولا يكون لنا مناهجنا المبتدعة الخالصة المستمدة من أدبنا ؟مادام أدبنا يختلف في جوهره وذاتيته ومضامينه عن الأدب الغربي فلماذا نحكم مقاييس هذا الأدب فيه»[14]

ب–أحادية المنهج:

اقتصر نظر هؤلاء إلى أحادية المنهج وإسقاطه على الظواهر الأدبية وفق قوالب جاهزة ،فكانت وفق مقاربات إما سيميائية أو بنيوية أو أسلوبية، نجد الناقد منهم يعلن عن المنهج الذي يتبناه قبل قراءاته للنص الأدبي، ومع غياب الفهم المرجعي و«الرؤية الفكرية للمنهج يوقع النقاد في الخلط نتيجة للفصل بين النظرية والمنهج،مما أكسب الكثير من الدراسات والبحوث النقدية صفة الارتجال والتقليد والميكانكية»[15]، وهذه الثقافة المعيارية جعلت كفاءة الناقد قاسرة على النص الأدبي الذي ظل حبيس أسواره، منغلقا على نفسه، فظل الناقد حبيس المنهج، لا يمتلك الرؤية الشاملة عنه ولا عن خلفياته الفكرية والفلسفية، فوقع قصور في الأداء وضعف في النتيجة، أو بسبب تلقي المناهج عن طريق النقل والترجمة المشوهة، أو هناك سبب آخر يتمثل في الاختيار العشوائي للمنهج في العملية النقدية، كما أن هناك مناهج تتسم بالشمولية«في مجموعة من العلوم والمعارف، وهذا ما يولد تعدد المفاهيم والتعاريف، وقد أقرّ منظرو المناهج النقدية بهذا التعدد، فهذا جون كلود كوكي يقرّ بأن الحديث عن السيميائية يجري في اتجاهات مختلفة وبلا تمييز»[16]، وفي حقيقة الواقع أن«هذه الممارسات السيميائية في وطننا العربي لا تزال بعيدة عن السيميائيات في مهدها الأوربي، إذا لم تعالج مجموعة من الميادين ولم تنطلق من أرضية علمية ومعارفة شمولية عن الظاهرة الأدبية»[17].

إنّ تعدد اتجاهات المنهج الواحد في المنبع الأصلي كسيميائيات بيرس و غريماس وباريس. يُخلط فكر المترجم ويصعب من فعل الترجمة، خاصة إذا لم يكن المترجم متخصصا في اتجاه من هذه الاتجاهات، ولم تكن له كفاءة عالية في ذلك، مما ينتج عنه ترجمة مشوهة مغلوطة،

تؤدي حتما إلى الإساءة في الاستعمال للمناهج النقدية، فيتداخل بعضها مع بعض، أو يناقض بعضها الآخر، كما أنها تنقل غامضة المفهوم، مبهمة المعالم والحدود ،أدواتها الإجرائية غير تامة، يؤثر هذا سلبا على الدراسة النقدية للحقول الأدبية، ناهيك عن فوضى المصطلح بين المؤتلف منه والمختلف.

وفي هذا نجد بعض النقاد ومنهم يوسف أحمد يرى أن أمر تفرع المنهج وتعدد اتجاهاته طبيعي، «صحيح أن الفينومولوجية فلسفات متعددة أكثر منها فلسفة واحدة مثلها مثل البنيوية، فهي بنيويات، والسيميائية سيميائيات، وهذه ميزة يختص بها الفكر البشري الذي يميل كل الميل إلى الاختلاف والتباين، لهذا كله ركّز دوسوسير DeSaussureعلى طبيعة التباين في النسق اللساني»[18]، وأمر الاختلاف في المنهج الواحد والتباين فيه طبيعي كذلك مع مرتاض ومردّ ذلك أن منطلق عملية النقد ذاتي رغم الإطار الموضوعي الذي الذي يحكمه، ويستدل بمثال يقول فيه:«هب دارسيْن اثنين يعتزيان إلى المدرسة البنيوية، فنيا ومنهجيا، وشاءا نقد نص قصيدة شعرية، فماذا يحدث لهما؟إنهما، لا ريب، على اتفاقهما في المنهج العام والرؤية الفلسفية، فإن الطابع الشخصيّ سيطغى على عمل كل منهما —ولكن في إطار الموضوعية الإيديولوجية أو الفنية التي تستند إلى مقاييس فنية معينة تضطرب في مجالها ولا تعدوه–مما يجعلنا نعتقد أن دراسة النص وتشريحه تشريحا كلينيكيا، مهما استندا في منهج التناول وسبيل التعامل إلى الموضوعية الفنية والمعايير النقدية الجاهزة، فإنّها تظلّ مع ذلك متسمة بالذاتية»[19]، فإذا كانت الذاتية والانطباعية هي من تصنع التباين، فإن طبيعة النص من حقها كذلك أن تفرض عليه المنهج الموائم، فكل نص أدبي وجب مقاربته«بمنهج —على ما يفترض فيه من عمومية وشمولية ومن حيث هو منهج متسلط النفوذ والاستقطاب —فإنّه يظل متسما بالخصوصية النسبية، وهي التي تحدد نسبة الإبداعية الفنية فيه...، وإذا كان من الجائز التسلح بمنهج علمي ما، كأن يكون المنهج البنيوي مثلا،فإن هذا المنهج، في رأينا لا ينبغي تطبيقه بحذافره على نصوص أدبية مختلفة،فللنص القصصي منهج، وللنص الشعري منهج وللنص المسرحي منهج، وهلم جرا...فلا سواء نص أدبي قوامه الشخصيات والحوادث، ونص أدبي آخر قوامه التجريد والتأمل...»[20]

يمكننا أن نقول أن«لكل منهج ظروفه ومميزاته الخاصة، ولكن هذا لا يمنع من الاستفادة بالمنهج وأدواته ما دام صالحا لواقعنا وظروفنا، والأساس في ذلك هو الاختيار، اختيار منهج ملائم لظروفنا، ومعبر عن طموحنا وقادر على المساهمة في حل مشاكلنا، على أن يبقى للناقد الحق في اختيار المنهج الذي يتماشى مع تصوراته للحياة والفن»[21].

ج–التركيب المنهجي :

قام بعض النقاد بمساءلة النصوص الأدبية بأكثر من منهج أو من خلال المزج بينهما، ولعل مرتاض أول من ابتدع هذه الطريقة، كما فعل في تحليل لبعض القصائد الشعرية والنصوص الأدبية النثرية كالرواية و المقامة، وفق تركيب منهجي، فأحيانا قراءة مركبة سيميائية تفكيكية وأخرى سيميائية أنثروبولوجية، فمن هذه الدراسات النقدية (تحليل الخطاب السردي–معالجة تفكيكية سيمائية لرواية"زقاق المدق")، (تحليل مركب لقصيدة أشجان يمنية)، (ألف ليلة وليلة–تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، (أ–ي، دراسة سيميائية

تفكيكية لقصيدة –أين ليلاي؟–)،(التحليل السيميائي للخطاب الشعري –تحليل مستوياتي لقصيدة "شناشيل ابنة الجلبي")، فكثيرا ما دعا عبد الملك مرتاض إلى«توسيع دائرة الرؤية النقدية وفلسفتها النظرية لتصقل عبر المدارس المختلفة، وهو ما يعني كما سمّاه"التعددية المنهجية"التي تقوم على إلغاء الحدود بين المناهج وفلسفاتها، ولعل هذا ما أدى إلى رفض المناهج المستجلبة من خارج النص، والقول بأن النص الأدبي هو الذي يحدد المنهج الملائم لدراسته»[22]، وكثيرا ما صرّح مرتاض عن شأن قصور عملية استقراء نص وفق منهج نقدي أحادي، ودعا خلال التعامل مع النصوص الأدبية إلى«المزاوجة أو المثالثة، أو المرابعة، وربما المخامسة بين طائفة من المستويات باصطناع القراءة المركبة التي لا تجتزئ بإجراء أحادي في تحليل النص؛ لأن مثل هذا الإجراء ،مهما كان كاملا دقيقا، فلن يبغي من النص المحلل كل ما فيه من مركبات لسانية»[23]

وقد لاحظنا شيئا من الخلط عنده، هذا العمل لم يَرُق بعض النقاد في الجزائر في رأيهم أن المزج بين منهجين أو أكثر في الدراسة النقدية إعلان عن فشل هذه المناهج، يرى عبد الله حمادي«أن التضافر بين السيميائية والتفكيكية في عملية إجراء واحدة نعده من دون هوادة – مغالطة نقدية، لأنها تكتشف عن قصور الحقلين، ويتمظهر ذلك التركيب الاستدعائي بين السيمياء والتفكيك، فلو كانت السيميائية قادرة على الروح الجمالي للنص ماكان مثل هذا الاستدعاء»[24]، ومن خلال تبنيه تركيبة منهجية في الدراسة النقدية يستدل عبد الملك مرتاض بما قام به بعض النقاد الغربيين ،للرد على من اتهموه بالخلط والعبث بالمناهج حيث ألفى"بعض المفكرين الغربيين وخصوصا قولدمان، حاول المزاوجة بين النزعتين البنوية والاجتماعية بتحويلهما إلى تركيبة منهجية، بل معرفية أيضا جديدة هي البنوية التكوينية وكأنه وما من وراء ذلك إلى إنقاذ البنوية والاجتماعية معا»[25]

د–دعوة إلى اللّامنهج:

لم يعد عبد الملك مرتاض يؤمن بأحادية المنهج ولا بالمنهج المركب بعد ذلك، وبدا أكثر تطرّفا بدعوته إلى اللامنهج، بعد عدة تساؤلات طرحها في كتابه"النص الأدبي من أين؟وإلى أين؟"، حيث وقف عاجزا عن سبر أغوار النصوص الأدبية وفك شفراتها، فاحتار بأي منهج يقتحم النص، «فخير منهج للناقد أن لا يكون له منهج، وهذا لا يعني أننا ندعو إلى الفوضى في النقد، لكن ندعو إلى عدم سيطرة المنهج على ذهنية الناقد فيقوده إلى نوع من (الأدلجة)ويغلق ذهنه عن بقية المذاهب النقدية، وأن يفرق بين نقد الفنون ،فالشعر والرواية والقصة القصيرة والفنون الجميلة، لكل منها نقد منهج خاص ،يأتي بعد ذوق الناقد، وتتحكم في هذه الحالات معرفة تامة بالمصطلح الذي يعالج فيه المصطلح»[26]، وأيّد مرتاض في مسألة اللامنهج يوسف وغليسي الذي يرى أن"عطائية النص مرهونة بهذا اللامنهج الذي يتحدد بمعارضته للمنهج المعين، الجامد الثابت المغلق، وعليه فإن اللاّمنهج بهذا المفهوم يتنافى مع المنهج في صورته الجامدة ومحاولة التطبيق الميكانيكي لآلياته الثابتة التي لابد أن تكون غريبة نسبيا عن خصوصية النص المدروس لاسيما فيما يتعلق الأمر بمنهج غربي في مواجهة نص عربي»[27]، كما تصدى وغليسي بالرد على ما وصفه بالحملة الشرسة ضد عبد الملك مرتاض في قضية"اللاّمنهج".

هـ–التكامل بين المناهج النقدية:

تمّ التوصل إلى هذا الرأي بعد سلسلة الإخفاقات في الاستعمال المنهجي، وبعد محاولات تجريبية كثيرة، كان معظمها قاصرا في مقاربة النصوص الإبداعية، فكل منها درس جانبا وأهمل جوانب أخرى، ومردّ ذلك حسب آراء بعض النقاد أن«النص الأدبي يبدو لأوّل وهلة عالما صغيرا بسيطا غير معقد ولا متشعب الطرق، ولكن بالتسلح الألسني المعمق يمكن أن نستكشف من خلاله عوالم ضخمة قد لا يكون لها حدود ولا تتصد لها آفاق»[28]،وعامل الإخفاق نفسه مع رابح بوحوش حول عجز المنهج النقدي، ومرد ذلك إلى«أنّ الخطاب جسم غريب زئبقي يشبه السمكة في البحر عبثا نحاول إمساكه باليد، فهو ينفلت من كل شيء: من المنهج ومن سوط الناقد، بل إنّه ينفلت حتى من ذاته، ومن السلطة، والأنظمة الجامدة كي يؤسس عالمه المتميّز، ومن ثمة منهجه المنبثق من صلبه، وعناده، وقواعد(نص المنهج)»[29]، أما الناقد السعيد بوطاجين فقد توصل إلى أن النص الأدبي لا يمكنه أن يدرس وفق منهج معين ولا ينبغي للناقد التصريح به، لأنه سيظل قاصرا على الإلمام بجوانب النص كلها، فمثلا إذا ما عالجنا نصا ما وفق منظور سيميائي فإننا تجاهلنا الجوانب النفسية والاجتماعية والجمالية فيه، لذلك على الناقد أن يكون على وعي تام بالمناهج النقدية كلها، لأنه في حاجة إليها في التحليل، فليس بالضرورة أن يوظف منهجا كاملا في القراءة، فهو يعود إلى كل منهج عند الاقتضاء–في إشارة من الناقد إلى المنهج التكاملي–هذا الأخير عرّفه يوسف وغليسي بأنّه «النقد الذي لا يستأثر بمنهج واحد محدد، ينتهجه طوال العملية النقدية ويلتزم به، إنما يريد أن يكون مجمعا منهجيا يضم مجموعة من المناهج المختلفة، تأتلف ضمنه في تعايش وأمان»[30]، هذا المنهج رفضه مرتاض وسخر منه، ويراه من المجازفة ومن المغالطة، حيث يقول:«أولى لنا أن ننشد منهجا شموليا ولا أقول منهجا تكامليا، إذ لم أر أتفه من هذه الرؤيا المغالطة التي تزعم أن الناقد يمكن أن يتناول النص الأدبي بمذاهب نقدية مختلفة في آن واحد، فمثل هذا المنهج مستحيل التطبيق عمليا، إذ لو أردنا أن نطبقه على نص أدبي، في تصورنا على الأقل كان علينا أن ندرسه من الوجهة الاجتماعية، ثم من الوجهة البنيوية، ثم من الوجهة الألسنية ثم من الوجهة التينية ثم من الوجهة اللانسونية الجمالية وهلم جرا إلى ما لا يحصى من المذاهب والنزعات»[31].وقد عارضه يوسف وغليسي في ذلك بشدة، فهو يرى أن المنهج التكاملي منهج مشروع—«في أقل تقدير–وليس لزاما على الناقد التكاملي(كما يريد له مرتاض)أن يعرض النص الواحد على جميع المناهج دفعة واحدة، بل عليه أن يفيد مما يراه مناسبا له في حدود ما لا يفقده الانسجام والتماسك»[32]

إن ما ذهب إليه الناقد السعيد بوطاجين وغيره من النقاد ينافي ظهور تلك المناهج النقدية سواء في منبتها الأصلي عند الغرب أو تبنيها لدى النقاد العرب والجزائريين، فظهور المناهج النسقية جاء ليقصي المناهج السياقية التي تدعو إلى دراسة النص من خلال ظروف نشأته ومحيطه الخارجي ونفسية المؤلف، وهذا ما رفضه المشتغلين على الفعل النقدي، فكانت بمثابة الضربة الموجعة لهم من خلال الإعابة على تلك المناهج وتوجيه النقد اللاذع لها وتشويه صورتها، فخفت صيتها مع عشرينات القرن الماضي ليرتفع مع بداية الثمانينيات من هذا القرن، بعدما انكب النقاد على ما توصلوا إليه من مناهج نسقية مرتبطة بالأساس بداخل النص وإقصاء كل ما هو خارج، ثم أن هذه المناهج

ظهورها الواحد تلوى الآخر لم يكن ظهورا تكامليا، فقد انبثق بعضها من رحم بعض كما حدث مع اللسانيات والبنيوية والسيميائية والأسلوبية، فكان الناقد يعلن ولاءه وانتماءه إلى منهج ما ويمجده، ثم يلقي بعزائه ويصب سخطه على الآخر، متهما إيّاه بالقصور والعجز والجمود.

هذا حال المنهج عندما ينظر إليه باعتباره سبيلا للممارسات النقدية، فحسب دون الاهتمام بأصوله المعرفية، التي يشكل التأمل فيها البداية الصحيحة نحو استيعاب فكر الآخر واستنباته في تربة جديدة لكي تكون له مردودية حقيقية، ثمّ«إن لجوءنا اليوم إلى مناهج نقدية ظهرت في بيئة غير بيئتنا، ووجدت كل مشاكل وقضايا تختلف –قليلا أو كثيرا–عن مشاكلنا وقضايانا يعود في أساسه إلى الرغبة في اللحاق بالركب الحضاري وتوفير الجهد وربح الوقت في اكتساب الخبرة والتجربة، ومعالجة القضايا الراهنة، هذا من ناحية، ومن ناحية إلى الجمود والتحجر الذي أصاب ثقافتنا وفكرنا منذ عدة قرون، حيث أصبحت لا تستطيع مسايرة حركة الواقع التاريخي، الشيئ الذي أوقفنا في حالة انفصام جعلت التراث يعد من أكبر الإشكاليات التي يواجهها الناقد العربي المعاصر»[33].وحسب مفهوم المناهج النقدية الحديثة أن يوافق مفهوم النقد المعاصر الذي يعد جسرا يربط الظواهر الأدبية القديمة و الحديثة.

4–خاتمة:

يمكننا أن نجمل النتائج التي توصلنا إليها خلال هذه الدراسة فيما يأتي:

–جدّد النقد الجزائري المعاصر في مناهجه وآلياته الإجرائية، وأصبح مواكبا لمستجدات النقد الغربي، حيث انتقل من النقد السياقي إلى النقد النسقي.

–غلب على النقد المعاصر في الجزائر الممارسات النقدية أكثر من الجانب النظري، وهذه الممارسات تمثل للنقاد جوهر العملية التي تقوم أساسا على منهج نقدي يعتبرونه مجرد أدوات إجرائية تساعد الباحثين على ضبط خطواتهم في التعامل مع القضايا التي يدرسونها، مما يبقي الخلفية الإبستيمولوجية المؤطرة لكل منهج خارج تصورهم الضيّق لحجم المشكل وتشعباته.

–ميّز المشهد النقدي الجزائري المعاصر جدلا ومعتركا حقيقيا بين النقاد والدارسين، فتباينت مواقفهم بين من يؤيد فكرة أحادية المنهج وبين من يعارضها، وبين من يدعو إلى فكرة التركيب المنهجي وبين من يرفضها.

– شهد إعمال المناهج النقدية فوضى وخلطا كبيرين، على الرغم من استقلالية المناهج النقدية بعضها عن بعض، وكل منهج يختلف عن الآخر في الرؤيا والطريقة والإجراء، إلا أننا نجد النقاد الجزائريين يسيئون استخدامها، فكيف سيستخدم الناقد الجزائري مصطلحات نقدية تختلف مفهوماتها باختلاف المنهج من قبيل؛ النص والتناص الشخصية مثلا،ومصطلحات الزمان والمكان وغيرها...؟

5–هوامش:

[1] نور الدين السد:الأسلوبية وتحليل الخطاب ،دار هومة، الجزائر العاصمة، الجزائر ج1 ،2010 ، ص 56

[2] يوسف وغليسي :الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2002،ص13

[3] سعيد سمير حجازي : إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،2004 ،ص 180

[4] فاضل ثامر: المصطلح النقدي بوصفه تعبيرا عن الوعي المنهجي، نزوى، اليمن، ع 6 ،1996،ص45

[5] علي مهدي زيتون :في مدار الأدب،دار الفارابي ،بيروت، لبنان، ط1 ،2011،ص15

[6] يوسف وغليسي :إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ،الجزائر،ط2009،1، ص56

[7] يوسف وغليسي:م ن ،ص57

[8]اسماعيل غموقات، إشكالية النقد الجزائري المعاصر، جريدة الخبر في 07-12-2012، تم الاطلاع يوم 22 فبراير2021 عبر الرابط https://www.djazairess.com/elkhabar/313340

[9] عبد الله العشي: مآزق التحديث في النقد الأدبي المعاصر،مجلة علامات، جدة، السعودية، ع 76، أغسطس 2003 ،ص78

[10] محمود الربيعي:في النقد الأدبي وما إليه،دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2001 ص262

[11] رشيد بن مالك:تحليل سيميائي لقصة عائشة لرضا حوحو، علامات، جدة، السعودية، ع38 ،2000،ص 373

[12] أنور الجندي: أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، د ت، ص111-112

[13] عبد الحميد بورايو:حوار مع علي ملاحي، التبيين، الجزائر، ع33، 2009، ص151

[14] حسين خمري: حسن خمري:سرديات النقد، منشورات الاختلاف ،الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1 ،2011 ،ص105.

[15] عمار زعموش: النقد الأدبي المعاصر في الجزائر قضاياه واتجاهاته، مطبوعات جامعة قسنطينة، الجزائر، 2001،ص58.

[16] عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005 ،05

[17] حنون مبارك:دروس في السيميائيات،الدار البيضاء،المغرب،1987،ص06

[18] عبد الله حمادي:السيميائية في الخطاب النقدي المعاصر، مجلة علامات، جدة، السعودية، ع57،سبتمبر 2005،ص220

[19] أحمد يوسف : الأبعاد السيميوثقافية لنظرية القراءة، عالم الفكر، الكويت ،ع3،يناير 2002، 182ص

[20] عبد الملك مرتاض:النص الأدبي ،من أين؟وإلى أين؟،ديوان المطبوعات الجامعية، ط1983،1 الجزائر،ص50

[21] عمر عيلان:النقد العربي الجديد؛مقاربة في نقد النقد،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1 ،2010،ص152.

[22] عمار زعموش:م ن ،ص 58

[23] عبد الملك مرتاض:التحليل السيميائي للخطاب، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، سوريا،2005، ص07

[24] سلطان سعد القحطاني،التيارات الفكرية وإشكالية المصطلح النقدي،نادي الطائف الأدبي، السعودية،ص112

[25] عبد الله حمادي :م ن ،ص 223-224

[26] محمود الربيعي:في النقد الأدبي وما إليه، دار غريب، القاهرة، مصر،ص261

[27]وغليسي يوسف:في ظلال النصوص؛تأملات نقدية في كتابات جزائرية،جسور(الجزائر)،ط2 ،2013، ص307.

[28] عبد الملك مرتاض:النص الأدبي ،من أين؟وإلى أين؟،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1983،1،ص54

[29] رابح بوحوش:المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني،دار العلوم،عنابة(الجزائر)،2010،ص75-76

[30] يوسف وغليسي:النقد الجزائري المعاصر،من اللانسونية إلى الألسنية،رابطة إبداع الثقافية، قسنطينة، الجزائر،2002،ص99

[31] عبد الملك مرتاض: –ألف ليلة وليلة ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1993،ص10

[32] يوسف وغليسي :مناهج النقد الأدبي ،جسور للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، الجزائر،ط1 ،2007،ص45

[33] عمار زعموش:النقد الأدبي المعاصر في الجزائر قضاياه واتجاهاته، مطبوعات جامعة قسنطينة، الجزائر،2001،ص61

6–المراجع:

ابراهيم رماني:أسئلة الكتابة النقدية،المؤسسة الجزائرية للطباعة،الجزائر ،1992

أنور الجندي،أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة،دار الاعتصام ،القاهرة، مصر،د ت

رابح بوحوش:المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني،دار العلوم،عنابة(الجزائر)،2010

زكي نجيب محمود:المنطق الوضعي ،القاهرة، مصر، ط4،مج2 ،1966

سلطان سعد القحطاني: التيارات الفكرية وإشكالية المصطلح النقدي، نادي الطائف الأدبي، السعودية،2005

سعيد سمير حجازي : إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،2004.

صلاح فضل : في النقد الأدبي ،منشورات اتحاد كتاب العرب ،2007.

عبد الملك مرتاض: –ألف ليلة وليلة ،ديوان المطبوعات الجامعية ،1993

عبد الملك مرتاض:التحليل السيميائي للخطاب،منشورات إتحاد الكتاب العرب ،دمشق، سوريا،2005

عبد الملك مرتاض:النص الأدبي ،من أين؟وإلى أين؟،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1983

عبد الملك مرتاض،التحليل السيميائي للخطاب،منشورات إتحاد الكتاب العرب ،دمشق، سوريا،2005

علي مهدي زيتون :في مدار الأدب،دار الفارابي ،بيروت، لبنان، ،ط1 ،2011

عمار زعموش:النقد الأدبي المعاصر في الجزائر قضاياه واتجاهاته،مطبوعات جامعة قسنطينة، الجزائر،2001

عمر عيلان:النقد العربي الجديد؛مقاربة في نقد النقد،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1 ،2010

محمود الربيعي:في النقد الأدبي وما إليه،دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2001

نور الدين السد:الأسلوبية وتحليل الخطاب ،دار هومة، الجزائر العاصمة، الجزائر، ج1 ،2010

يوسف وغليسي :إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ،الجزائر،ط1،2009.

يوسف وغليسي :الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2002.

يوسف وغليسي:النقد الجزائري المعاصر،من اللانسونية إلى الألسنية، رابطة إبداع الثقافية، قسنطينة، الجزائر، 2002

يوسف وغليسي:في ظلال النصوص؛تأملات نقدية في كتابات جزائرية،جسور(الجزائر)،ط2 ،2013.

المجلات:

أحمد يوسف : الأبعاد السيميوثقافية لنظرية القراءة، عالم الفكر، الكويت ، ع3،يناير 2002.

عبد الله العشي:مآزق التحديث في النقد الأدبي المعاصر،مجلة علامات،جدة السعودية ، ع 76،أغسطس 2003

عبد الله حمادي : السيميائية في الخطاب النقدي المعاصر علامات، جدة، السعودية، ع57،سبتمبر2005.

عبد الحميد بورايو:حوار مع علي ملاحي،التبيين، الجزائر، ع33 ،2009

رشيد بن مالك:تحليل سيميائي لقصة عائشة لرضا حوحو،علامات، جدة،السعودية ، ع38 ،2000

فاضل ثامر: المصطلح النقدي بوصفه تعبيرا عن الوعي المنهجي، نزوى، اليمن، ع 6 ،1996.

المواقع الالكترونية:

اسماعيل غموقات، إشكالية النقد الجزائري المعاصر، جريدة الخبر في 2012-12-07، تم الاطلاع يوم 22 فبراير2021 عبر الرابط https://www.djazairess.com/elkhabar/313340